أصل الإنسان

بين الإسلام والفكر المادي

إعداد:

د. صالح بن عبد الله بن عبد المحسن الفريح

وكيل كلية الدعوة وأصول الدين للتطوير الأكاديمي وخدمة المجتمع

الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى

عام ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

كتاب / أصل الإنسان بين الإسلام والفكر المادي

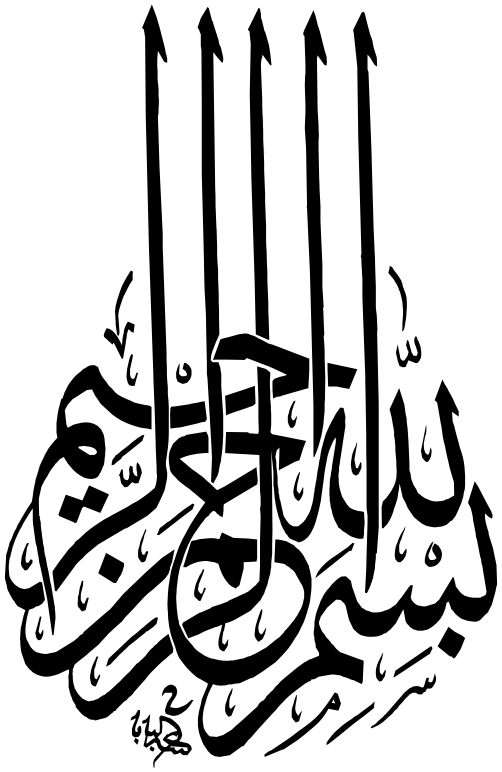

المقدمـــة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفســنا، ومــن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

[4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ Z [آل عمران: ١٠٢]

[! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3

4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? Z [النساء: ١].

[u v w x y z { | } ~ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ © فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ Z [الأحزاب: ٧٠-٧١].

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمــور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعــد: -

إن المتأمل لأوضاع العالم في العصور المتأخرة؛ يجد أن الغزو الفكــري الــذي يهدف إلى دفع الناس للانحلال من أديانهم ومعتقداتهم؛ قد استفاد من كل ثغرة يمكن أن يدخل منها، بل قد يخلقها، ثم يزينها، ويجمِّلها، لكي تلقي قبولًا تنتشر من خلاله بين الناس.

وإن من هذه المداخل - التي استخدمت في العصور المتأخرة - قضــيةَ أصــل الإنسان، حيث نالت هذه القضية أكثر مما تستحق من بحث ودراســة؛ ثم أُخــذت نتائجها على أنها من المسلمات، التي لا تقبل النقاش ولا الشك في معطياتها، ورُفــع قدرها حتى انتشرت في العالم كله؛ بل وبسطت هيمنتها وسيطرتها اليوم في مجــال التربية والثقافة والعلوم في العالم بأسره[1]، وكان تأثير هذه النظرية بعيدًا عميقًــا في

(١) أحمد المحمد الرشيد، في تقديمه لكتاب: موريس بوكاي، ما أصل الإنسان (١٢).

الأفكار والحضارة والأدب والسياسة تراه وتلمسه في أخلاق الناس[1]، والذي ساعد على ذلك تدريسُها في مختلِف مراحل الدراسة في العالم.

وهذه القضية عندنا نحن -أهلَ الإسلام- واضحة وجلية، حيث أننا اعتمدنا في معرفتها على مصادر أصلية، لا يتطرق إليها الشك، وسأتناول في هذا البحث هذه القضية بشكل نقدي مقارن ، حيث سأعرض لها في الفكر الغربي وبالأخص في ما يعرف بنظرية داروين وسأوضح ما انتقده بعض العلماء الغربيون عليها، ثم أعرض لفكرة الإسلام في هذا الموضوع من خلال ما جاء في كتاب الله والسنة المطهرة على صاحبها وآله أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

وقد جاء البحث مشتملا على مبحثين وجملة من المطالب على النحو التالي :

المبحث الأول: أصل الإنسان في الفكر المادي ويشتمل على ثلاث مطالب: -

المطلب الأول: حقيقة النظرية المادية -نظرية داروين- .

المطلب الثاني: نقض النظرية .

المطلب الثالث: العوامل التي ساعدت على بروز النظرية .

المبحث الثاني: أصل الإنسان في الإسلام. ويشتمل على ثلاث مطالب: -

المطلب الأول: أصل الإنسان في القرآن والسنة .

المطلب الثاني: مظاهر تكريم الإنسان من خلال أصله في الإسلام.

المطلب الثالث: خلق آدم عليه السلام وصفاته، وهو شامل لجميع البشر.

* * * * * *

(١) الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (١٩٣)، وانظر محمد قطب جاهلية القرن العشرين (٨١).

المبحث الأول

أصل الإنسان في الفكر المادي

ويشتمل على ثلاثة مطالـــب: -

المطلب الأول: حقيقة النظرية المادية -نظرية داروين-.

المطلب الثاني: نقض النظريـــــة.

المطلب الثالث: العوامل التي ساعدت على بروز النظرية.

* * * * * *

تمهيد :

إن من أبرز النظريات التي تعرضت لأصل الإنسان: نظريةَ النشوء والارتقاء، أو نظرية التطور، التي تنسب إلى داروين[١].

والحقيقة التي لا تقبل التراع؛ أن داروين لم يكن أول من تعرض لدراسة أصل الإنسان كما يظن كثيرون؛ بل إنه قد سُبق إلى ذلك، ففي القرون التي سبقت مولد المسيح، لاحظ كثيرٌ من الفلاسفة الإغريق؛ أن العالم الحي كان خاضعًا لتحولات [٢] ففكرة التطور كانت موجودة قبل داروين بعدة قرون، فقد ظهرت هذه الفكرة منذ عهد الفلاسفة الإغريق ومن جاء بعدهم من الفلاسفة المسلمين، والباحثين الأروبيين السابقين والمعاصرين لداروين [٣].

* * * * * *

---

(١) تشارلز روبرت داروين (Charles Robert Darwin) عالم حيوان، إنجليزي الجنسية، اشتهر بنظرية التطور ومبدأ الانتخاب الطبيعي، حول نشأة الإنسان.ولد في إنجلترا في ١٢ فبراير ١٨٠٩ وتوفي في ١٩ إبريل ١٨٨٢ م هو عالم تاريخ طبيعي بريطاني اكتسب شهرته كواضع لنظرية التطور بدأ اهتمام داروين بالتاريخ الطبيعي أثناء دراسته للطب ثم اللاهوت في الجامعة. أدّت رحلته على متن سفينة البيغل والتي دامت خمس سنوات إلى تميّزه كجيولوجي وانتشار اسمه كمؤلف. ومن خلال ملاحظاته للأحياء قام داروين بدراسة التحول في الكائنات الحية عن طريق الطفرات وطوّر نظريته الشهيرة في الانتخاب الطبيعي عام ١٨٣٨ م. ومع إداركه لردّة الفعل الذي يمكن أن تحدثه هذه النظرية، لم يصرّح داروين بنظريته في البداية إلا إلى أصدقائه المقربين في حين تابع أبحاثه ليحضّر نفسه للإجابة على الاعتراضات التي كان يتوقعها على نظريته. وفي عام ١٨٥٨ م بلغ داروين أن هنالك رجل آخر، وهو ألفريد رسل ووليس، يعمل على نظرية مشابهة لنظريته مما أجبر داروين على نشر نتائج بحثه. أنظر: (http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF%D8%A7%D8%B1%D9%88%D9%8A%D9%86)

(٢) موريس بوكاي، ما أصل الإنسان (٤٠).

(٣) حميد الحميد، أصل الإنسان (١٠٨).

المطلب الأول: حقيقة النظرة المادية - نظرية داروين -

طرح داروين هذه النظرية من خلال كتابه أصل الأنواع، ومن خلاله انتشرت أفكاره التي يزعم أنه توصل إليها بعد بحث وعناء؛ وتتلخص أفكاره في أنه يرى أن من الخطأ المحض القول بأن كل الأنواع قد خلق مستقلاً بذاته [١]؛ لذا فهو يعتقد أن الأنواع دائمة التحول؛ حيث أنها أعقاب متسلسلة من الأنواع، طواها الانقراض؛ والسبب الأكبر والمهيئ القوي لهذه التحولات؛ الانتخاب الطبيعي [٢] وأما الإنسان فهو جزء من المملكة الحيوانية، تطور منها عن طريق الانتخاب الطبيعي، والانتخاب الجنسي [٣]، ويظهر مما سبق أنه يرى أن الكائنات الحية المتنوعة وجدت بعد عدة مراحل من التحول، فجميع الكائنات قد وجدت بالتطور بعضها من بعض على طول الأحقاب الجيولوجية، كما أن الإنسان جزء من تلك الحلقات؛ بل هو سيدها فهو لم يخلق خلقًا مباشرًا، بل مر بمراحل حتى وصل إلى ما هو عليه الآن.

وتقوم دراسات التطوريين على أصول من أبرزها:

التشابه الجسمي: ذلك أن هناك أوجه شبه بين الإنسان والحيوانات، خاصة القردة العليا، فدم الإنسان يشبه في تركيبه دم القردة العليا، وخاصة الشمبانزي والغوريلا، من أوجه كثيرة مما يدل على أن الإنسان والقردة يرجعان إلى أصل واحد، كما أن هناك تشابهًا ظاهريًا بين الإنسان والقردة؛ ففي اليد والقدم لكل منهما خمسة أصابع[٤]، فالقائلون بالتطور قد اعتمدوا على التشابة بين طوائف الأحياء في الشكل، وبنوا عليه

---

(١) داروين، أصل الأنواع (١٢٢).

(٢) نفسه (١٢٢).

(٣) حميد الحميد، أصل الإنسان (١٣٩).

(٤) عبدالرحمن المطرودي، الإنسان (٦٥).

التقارب بين طوائف الأحياء المتباينة [1].

الحفريات: علم الحفريات من علم الآثار يهتم بالمخلفات الميتة من الأحياء ولهذا تساوي الحفريات الكائنات القديمة [2]؛ ومن خلال عثور أصحاب النظرية على بعض الآثار أو الحفريات أرجعوها إلى بعض الكائنات الحية القديمة؛ ولذا زعموا أنها حلقة من سلسلة التطور، وبنوا عليها الكثير من تصوراتهم وتخيلاتهم التي تؤيد نظريتهم.

* * * * * *

(١) حميد الحميد، أصل الإنسان (٤٠).

(٢) ابوعبدالرحمن ابن عقيل الظاهري، التوباد - مجلة فصلية - (٢٤).

المطلب الثاني: نقض النظريــة

نظرية التطور منذ ظهورها وهي تتعرض للنقد والمناقشة، و لم تسلم من ذلك بل إن لامارك عندما أظهرها كان محل نقد معاصريه ومحط سخريتهم [١] حتى أنه مات في عزلة فكرية مروعة [٢]، وكلما تقدم العلم زاد النقد قوة، وظهر ضعف النظرية أكثر، ولعــل نقدها هنا يكون في النقاط التالية:

نقد أصول النظرية، نقدها من خلال ما كتب داروين نفسه، نقدها مــن خــلال منهج دعاتها في البحث، نقدها من خلال المعارضين لها من علماء الغرب.

١ – نقد أصول النظرية:

التشابه الجسمي:

حيث يعتمدون عليه في القول بالتطور، والحقيقة أن الاعتماد على مثل هذا العنصر ضعيف جدًا، وذلك لأن نسبة التشابه بين الإنسان والحيوانات العليا لا تتجــاوز نســبة (٨،٨%) [٣] وهي نسبة صغيرة جدًّا.

كما أن الإنسان يتميز عن بقية رتبة الحيوانات العليا صفات تشريحية، كالقــدرة على السير على القدمين فقط، وانتصاب القامة، وصغر حجم الأنياب، وكــبر حجــم الدماغ، وطول فترة النمو، وغيرها. [٤]

وهذا التشابه الموجود يفرضه نظام التغذية؛ ذلك أن الإنسان يتغــذى علــى النبات والحيوان والغذاءُ عامل رئيسٌ في تكوينه[٥]، يقول كريسي موريســون: إن

---

(١) موريس بوكاي، ما أصل الإنسان (٤٢).

(٢) نفســــــه (٤٢).

(٣) عباس العقاد، الإنسان في القرآن (٨٢).

(٤) انظر: نفســــــه (١٤٢).

(٥) عبدالرحمن المطرودي، الإنسان (٨١).

كان تكوين الإنسان يشبه تكوين القردة العليا فهذا التشابه ليس بالضرورة برهانًا على أن الإنسان من نسل القرود أو أن تلك القردة ذرية منحطة من الإنسان [١].

الحفريات:

تعتمد نظرية داروين على الحفريات اعتمادًا كبيرًا والواقع أن علم الحفريات فيه ظنون وتضليل، وهو جدير بأن تمحص نتائجه[٢] ولقد قام بعض علماء الحفريات بإجراء دراسة إحصائية عن الأنواع التي وجدت في باطن الأرض، فكانت النتيجة أن ٢٨% منها أنواع لم تتغير، و٧% أنواع مهاجرة، و٦٥% لا سلف لها، وأما الأنواع التي نشأت بالتغير، والأنواع الجديدة، فلا وجود لها في شيء من بقايا الحفريات [٣].

وإن من الجدير بالاهتمام البحثَ عن مدى الثقة في العينات نفسها حيث أنها لا تسلم غالبًا من التزوير، حتى أنه ليؤخذ من الهياكل العظمية دلالات؛ لا تدل عليها العينة [٤]، ووقائع التزوير عند دعاة التطور كثيرة، ومن أبرز الأمثلة عليه؛ أنه اكتشف إن الإنسان بيلتداون الذي يعتقد بعض العلماء أنه يرجع إلى نصف مليون سنة إلى الوراء، لم يكن إلا مجموعة من جمجة إنسان اليوم، وفك قرد قد موه ببيكربون البوتاسيوم وبملح الحديد، لإعطائه شكلاً متحجرًا أقدم من حقيقته، و لم تصبغ قطع الجمجمة فقط؛ بل بردت الأسنان لكي تظهر وكأنها قد ذابت من الإستعمال، حتى كتبت إحدى المجلات المتخصصة: إن جميع القطع المهمة قد موهت وزورت أيضًا، وأن الإنسان بيلتداون كان عملية تزوير من أولها إلى آخرها [٥].

---

(١) كريسي موريسون، العلم يدعو للإيمان (١٤٤).

(٢) ابوعبدالرحمن ابن عقيل الظاهري، التوباد (٢١).

(٣) حميد الحميد، أصل الإنسان (٥١).

(٤) انظر: ابوعبدالرحمن ابن عقيل الظاهري، التوباد (٤٢).

(٥) نفسه (٤٠).

والحقيقة تظهر أن جميع التطوريين لا يتورعون عن اللجوء إلى أي حيلة لينسجوا أدلة وهمية لإثبات ما ليس لديهم عليه من دليل، بل بعضهم قد اعترف بالتزوير على نفسه وعلى الكثير من زملاءه [١].

وأخيرًا هل نتائج هذه الحفريات والآثار نتائج قطعية وجازمة، ولو من ناحية التواريخ والأزمان؟! الحقيقة أنه ليس بالمستطاع تعيين هذه التواريخ والأزمان المغرقة في الزمن تعينًا دقيقًا قط [٢] فالوثائق البشرية لا تعود إلى أكثر من نحو ستة آلاف سنة، وهو ما يتفق مع ما ذكرته الكتب المقدسة تقريبًا، بينما نلاحظ أن التطوريين يرجعون بعض الآثار إلى ملايين السنين بلا أي دليل [٣].

٣- نقد النظرية من خلال ما كتب داروين:

إن المتأمل لما كتب داروين نفسه يدرك وبجلاء ما كان يحس به من شكوك حول نظريته بل يستطيع أن يتوصل إلى ذلك من خلال عبارات داروين نفسه هذا الشك وصل إلى درجة أنه كان يفضل إن تنتشر نظريته بعد موته، ولذا كان يتأخر في الكتابة حول هذا الموضوع ويرفض النقاش علنًا مع الناس، وهذا طبع غريب يدل على إنسان أدرك أنه يقول شيئًا يصدم به الناس ويثيرهم [٤]، يقول موريس بوكاي: (واقع الأمر أن إنتاج داروين يحتوي على جانبين اثنين: أولهما الجانب العلمي فإنه رغم القدر الهائل من المعلومات التي لاحظ داروين..... فإن الجانب العلمي أبعد ما يكون عن الرسوخ والصلابة) [٥]، وأشد من ذلك قول داروين: (إنني واثق تمامًا أن كثيرًا مما جاء فيه [يعني كتابه أصل الأنواع] سوف يثبت أنه هراء ولكنني أتوقع كما

---

(١) انظر: القرطاس، نظرية داروين: (٣٤).

(٢) ابوعبدالرحمن ابن عقيل الظاهري، التوباد: (٢٦).

(٣) انظر: نفسه: (٢٦،٢٧).

(٤) حميد الحميد، أصل الإنسان: (١١٠).

(٥) نفسه: (٤٦).

أرجوا أن يضل الهيكل ثابتًا)[1]، وهذه القناعة عند داروين يمكن أن يخرج بها أي إنسان يطالع ما كتبه داروين، فهو يعترف بالجهل في عدة مواضع من كتابه -أصل الأنواع- ويقول بالصدفة، ويضاف إلى ذلك كثرة استخدامه لعبارات والفاظ مضمونها الظن والتردد ويصرح بذلك في أغلب الأحيان، بل إن الجمل الارتيابية في كتابه أصل الأنواع تزيد عن (٨٠٠) جملة [2].

ومن جانب آخر نجد أنه تأتيه إشكالات في نظريته من خلال إيراد الاعتراضات عليها ثم يعجز عن الرد والبيان وينصرف إلى محاولة إثبات نظريته، وأشد من ذلك هدمه لنظريته من أساسها فهو يقول: إذا استطاع أحد أن يثبت أن أي عضو من الأعضاء المهذبة التركيب الراقية التكوين قد أمكن أن يستحدث من غير أن يكون لتحول الصفات التدريجي على مدى الأزمان يد في استحداثه فإن مذهبي لا محالة ينهار من أساسه [3]، وهو بهذا ينقض نظريته بنفسه حين يكتشف العلماء تحول دودة القز إلى فراشه دون المرور بأي مراحل تدريجية.

٣- نقد النظرية من خلال منهج البحث عند دعاتها:

إن من الأمور التي تظهر ضعف هذه النظرية؛ فساد المنهج الذي سلكه علماء التطور في إثباتها فهم لم يسلكوا منهجًا علميًّا لإثبات نظريتهم بل كان منهجهم في إثباتها ضعيفًا غير قائم على أُسس صحيحة، وهم إنما فعلوا ذلك لأنهم لم يجدوا منهجًا علميًّا يمكن أن تثبت به تلك النظرية، ولعل أبرز نقاط الضعف في ذلك المنهج تتلخص في ما يلي:

أ) ضعف الأسس التي قامت عليها النظرية: فنظرية داروين لم تتعد نطاق الظن والتخمين... وتعوزها الأدلة الثابتة لتكون في عداد النظريات القائمة على القطع

(١) حميد الحميد، أصل الإنسان: (١١٠).

(٢) نفسه: (١٦٩).

(٣) نفسه: (١٦٩،١٧٠).

واليقين[١]، فهي لم تزد كثيرًا عن أن ساقت بعض الافتراضات التي تتعلق بأصل الإنسان[٢] ولذا يقول أحد أنصارها: إن نظرية النشوء والارتقاء غير ثابتة علميًّا ولا سبيل إلى إثباتها بالبرهان [٣]، ومنهم من تقبلها بسرور لكنه أحس بأن هناك وقائع لم تستطع تلك النظرية نفسيرها [٤]، فالنظرية قد ولدت مشوهة ناقصة على مشارف الموت، لكنها بقيت في أذهان دعاتها كاملة الحياة.

ب) التعصب: وهذا أمر ظاهر وجلي في دراساتهم، حيث أنهم ينطلقون من العداوة الشديدة للكنيسة التي جعلتهم يرون أنه لا حياة لهم إلا بتدميرها وقد وجدوا في هذه النظرية السلاح الذي يستطيعون من خلاله تدمير الكنيسة.

إن التعصب جعل بعض الباحثين يتمتع بالروح نفسها التي كان عليها أشياع نظرية داروين الأولين وقد كانوا أكثر تعصبًا وداروينية من داروين[٥]، بل إن بعضهم قرر أنه يفضل أن يكون سليل أحد القردة على أن يكون من نسل إنسان[٦].

هذا التعصب أوقعهم في خطأ منهجي آخر هو التعجيل في البحث للوصول إلى النتائج التي يرغبون فيها فأصبح همهم الأول هو إثبات هذه النظرية فكثير منهم يحمل شعورًا ما يحركهم لإمدادها بالحجج العلمية وغير العلمية. المهم هو الوصول إلى قرار أو نتيجة عاجلة تتمشى مع معتقداتهم (أيديولوجياتهم) [٧] وهذا التعجل أيضًا دفعهم لخطأ آخر هو الانطلاق من معطيات غير كافية حتى أن الباحث ليعاني صعوبة في استخلاص

---

(١) الإنسان في الإسلام، أمير عبد العزيز: (١٦).

(٢) موريس بوكاي، ما أصل الإنسان: (١٥).

(٣) وحيد الدين خان، الاسلام يتحدى: (٣٩).

(٤) ويل ديورانت، قصة الفلسفة: (٤٢٣).

(٥) موريس بوكاي، ما أصل الإنسان: (١١٨).

(٦) موريس بوكاي، ما أصل الإنسان: (١٨٨).

(٧) نفسه .

الحقيقة. ومن الأمثلة على ذلك: انسحاب مكتشف إنسان جاوة واعتمادهم على آثار مزورة واختفاء بعضها، فهم يحاولون الوصول إلى الإنسان الأول ومعرفته، بينما هم لا يملكون هيكلًا عظميًّا تامًّا لقرد صغير ناهيك عن أن يجدوا هيكلًا لإنسان قديم، فهم عالة على قليل من العظام وعلى أسنان محطمة[١]، هذا على فرض سلامتها من التزوير.

ومما يؤخذ على منهجهم أيضًا أنه مع تعجلهم في بحث أمور تحتاج إلى الروية والتأني ومع ضعف معطياتهم وعدم كفايتها نلاحظ أن التعميم هو المسيطر على نتائجهم دون أن يكون لديهم أي معلومات تفصيلية عما يمكن أن يكون لدى سواهم من الخبراء في الميادين الأخرى ذات الصلة بالموضوع نفسه [٢].

ج) التزوير والكذب: ومما اتسم به منهج علماء التطور في أغلبه اعتمادهم الكبير على الكذب والتزوير وقد وصلت إلينا اعترافات عدد منهم بهذا، يقول آرنست هيكل: (إني اعترف رسميًا حسمًا للجدال في هذه المسألة أن عددًا قليلاً من صور الأجنة، أي نحو ٦% أو ٨% موضوع أو مزور... وبعد هذا الاعتراف يجب أن أحسب نفسي مَقضيًّا على وهالكًا ولكن يعزيني أن أرى بجانبي في كرسي الاتهام مئات من شركائي في الجريمة... فإن كثيرًا من الصور التي توضح علم الأحياء وعلم التشريح وعلم الأنسجة وعلم الأجنة المنتشرة والمعول عليها مزورة مثل تزويري تمامًا لا يختلف عنه في شيء [٣] هذا بخلاف تزويرهم لبقايا الكائنات التي يزعمون أنها منذ ملايين السنين فكثير من المستحاثات التي قدمت على اعتبار أنها تعود إلى ما قبل التأريخ هي في الواقع ليست كذلك[٤]، والأخبار المتناقلة في الكتب والمجلات العلمية عن تزويرهم كثيرة سبق

(١) حميد الحميد، أصل الإنسان: (١٠٤-١٠٥).

(٢) موريس بوكاي، ما أصل الإنسان: (٣٨).

(٣) القرطاس، نظرية داروين: (٤).

(٤) ابو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري، التوباد: (٤١).

بعضها[١].

د) تجاهل ما لا يؤيد نظريتهم: فعلماء التطور مع كل ما سبق يتجاهلون أي معلومة تخالف رأيهم أو التي قد تسبب لهم أي شيء من الحرج حيث يتجاهلون معرفتهم بالأدلة العلمية التي قد تُظهر علامات استفهام حول بعض ما توصلوا إليه فهم -على سبيل المثال- يتجاهلون علمهم بوجود المستحاثات التي ترجع لإنسان اليوم والموجود في الطبقات الأرضية التي وجدوا فيها مستحاثات زعموا أنها ترجع إلى إنسان ما قبل التأريخ والسبب أنها لا تتفق مع فكرتهم التي تبنوها بشأن تحول الحيوان الجلف إلى إنسان[٢]، ومن خلال ما سبق يتضح فساد منهجهم في البحث حيث لا يكاد يسلم من الخلل والقصور وهو أمر ملاحظ وظاهر من جميع الدراسات المؤيدة للتطور.

٤- نقد علماء الغرب لنظرية التطور:

اختلال نظرية داروين من الناحية العلمية دفع الكثيرين من علماء الغرب إلى دراستها ثم بيان حقيقتها والوقوف في وجه انتشارها ببيان ضعفها وتهافتها أمام الحقائق العلمية للناس عامة، حيث توصلوا إلى أن نظرية داروين في حقيقتها لم تتعد نطاق الظن والتخمين، وتعوزها الأدلة الثابتة لتكون في عداد النظريات القائمة على القطع واليقين [٣]؛ ليس ذلك فحسب بل لقد اعترف عدد من الباحثين والمؤيدين لنظرية النشوء والارتقاء بأن النظرية غير ثابتة علميًّا وأنه لا سبيل إلى إثباتها بالبرهان [٤]، فهي نظرية لم تزد كثيرًا عن أن ساقت بعض الافتراضات التي تتعلق بأصل الإنسان [٥]، ولذا نجد أن الذين قبلوا النظرية

(١) انظر: نقض أصول النظرية: الحفريات: ص (٦).

(٢) ابوعبدالرحمن ابن عقيل الظاهري: التوباد: (٤١).

(٣) أمير عبد العزيز، الإنسان في الإسلام: (١٦).

(٤) حميد الحميد، أصل الإنسان: (٢٢٧).

(٥) موريس بوكاي، ما أصل الإنسان: (١٥).

وجدوا أن هناك وقائع لم تستطع تلك النظرية أن تفسرها [١]، ولا تزال النظرية إلى يومنا هذا وهي تتلقى كل يوم ضربة تجعلها مترنحة أكثر وآيلة إلى السقوط عن قريب، ولعل أبرز منتقدي النظرية من المفكرين الغربيين والعلماء المتخصصون بعلم الأحياء هم:

جوستاف جوليه - فرنسي، كاترو فاج - فرنسي، جوهانس هورذلر – سويسري، د/بيربيرسون: حيث قام مع زملاء له ببيان بطلان نظرية داروين مما أوجب حضور تدريسها علميًّا في الجامعة، أغاسيز - سويسري، أوسن كلارك، كريسي موريسون، موريس بوكاي، جال بيفتو، وآلاس، دويتز، ليكي، وغيرهم كثير [٢].

إذا كانت النظرية بهذا الضعف الظاهر؛ يحق لنا أن نتساءل كيف انتشرت بين الناس؟!! بل قبلها بعض العلماء والمفكرين في الغرب ؟!

ولعل الجواب يكون في المطلب التالي .

* * * * * *

(١) ول ديورانت، قصة الفلسفة: (٤٢٣).

(٢) انظر: حميد الحميد،أصل الإنسان: (٢٠٤-٢٠٦)، أمير عبد العزيز، الإنسان في الإسلام (١٨-٢٤)، موريس بوكاي، ما أصل الإنسان: كاملاً، كرسي موريسون، العلم يدعو للإيمان: كاملاً.

المطلب الثالث: العوامل التي ساعدت على بروز النظرية ورواجها

إنه لمن نافلة القول أن داروين لم يكن أبرز من تكلم عن هذه النظرية، ذلك أن هذه النظرية قد عُرفت قبل الميلاد حيث أظهرها الفلاسفة الإغريق، ليس هذا فحسب بل إن لا مارك كان أول عالم طبيعيات قدم فكرة التطور عام ١٨٠١م، ومع ذلك فقد مات في عزلة فكرية مروعة فكان محل نقد معاصريه ومحط سخريتهم(١).

لكن الأمر اختلف مع داروين حيث كُتب لنظريته القبول والانتشار وإن كانت لم تسلم من معارضين، لكن ساعد داروين على انتشارها عوامل لعل من أهمها:

١- داروين:

ذلك أن داروين قدم حقائق تبدوا أكثر أهمية من تلك التي جاء بها سلفه، بالإضافة إلى أنه عرض حججه بطريقة بارعة وغالبًا ما يكون الحذق والبراعة أكثر تأثيرًا من تماسك الحجج ورسوخها (٢)، هذا بالإضافة إلى القدر الهائل من المعلومات التي لاحظها داروين (٣).

٢- توقيت ظهور النظرية:

فوقتُ ظهور النظرية كان من أبرز العوامل التي ساعدت في بروزها وقبولها ثم انتشارها، حيث ظهرت في ذلك الوقت الذي انتشرت فيه المواجهة المادية والتمرد على الكنيسة وتعاليمها والعداوة الشرسة التي قامت بين الدين النصراني المحرف وبين العلم في أوروبا (٤)، ولعل من أبرز الاسباب التي دفعت الأوربيين في ذلك الوقت لقبول هذه

---

(١) موريس بوكاي، ما أصل الإنسان: (٤٠،٤٢).

(٢) موريس بوكاي، ما أصل الإنسان: (٤٤).

(٣) موريس بوكاي، ما أصل الإنسان: (٤٦).

(٤) انظر: محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام: (١٦).

النظرية ونشرها الرغبة الجامحة في الانتقام من الكنيسة التي أذاقتهم صنوف العذاب والهوان والتي كانت جاثمة على صدور العلماء والعامة على حد سواء؛ ولذا نجد أن الجمهور والدهماء من الناس تلقوا هذه النظرية بالقبول رغم ما فيها من ضعف ونقص من الوجهة العلمية - فهموها أم لم يفهموها - وكأن الأذهان كانت متهيئة لمثل هذه النظرية، وكأن الناس وجدوا فيها منافسًا للدين ورجاله [١]، وساعد على هذا ارتياح (رضا) علماء معينين ممن اسرعوا باستخدام تظرية داروين في التشكيك في تعاليم التوراة؛ ولذلك أصبحت الداروينية تعد أكثر المذاهب عداء للدين، وأكثر المذاهب إيغالًا في المادية [٢]، ومن هذا المنطلق اعتبر داروين هو بطل الانقلاب الفكري الذي حصل على الكنيسة وفلسفتها حين قرر حيوانية الإنسان، فنفى عنه تلك النفحة الإلهية[٣].

بعد ذلك انطلق علماء الغرب في الإلحاد ومحاربة الأديان كلها ومن ثم تبني هذه النظرية وأصبح من عباراتهم الشائعة قولهم: إنهم لا يؤمنون بهذه النظرية إلا لأنه لا يوجد أي بديل لها سوى الإيمان بالله مباشرة...[٤]، يقول آرثر كيت: إن نظرية النشوء والارتقاء غير ثابتة علميًّا ولا سبيل إلى إثباتها بالبرهان ونحن لا نؤمن بها إلا لأن الخيار الوحيد بعد ذلك هو الإيمان بالخلق الخاص المباشر وهذا ما لا يمكن حتى التفكير فيه، ولذا فقد كان إنتاج داروين مددًا وعونًا لمساعدة الإلحاد في المواجهة التي كانت بين العلم والدين[٥].

٣- دور اليهود في إبراز داروين ونشر أفكاره:

لا يخفى على المطلع على أحوال العالم ما لليهود من سيطرة، والباحث وإن كان

---

(١) الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: (١٩٣).

(٢) موريس بوكاي، ما أصل الإنسان: (٤٦،٤٧).

(٣) محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام: (١٦).

(٤) خان، الإسلام يتحدى: (٣٩).

(٥) موريس بوكاي، ما أصل الإنسان: (٤٦).

مع من لا يوافقون على تضخيم وتهويل دور اليهود في العالم - وهو الأمر الذي يسعى إليه اليهود، لأن العامل النفسي له دوره في الانتصار - إلا أن هناك حقائق تفرض نفسها، وإشكالات تحتاج إلى تجليتها، وهذا من أهمها، ذلك أننا بالرجوع إلى برتوكولات الصهاينة نجد أن الطبقة المتعلمة استحوذت على اهتمامات الصهاينة ولذلك حرصوا على أن يلقنوهم تلك النظريات المبهرجة [١] من خلال وكلاء اليهود، وذلك رغبةً في تربية عقولهم حسب الاتجاه الإفسادي الذي رسموه [٢].

وفي هذا الإطار تشير البرتوكولات إلى النجاح الذي حققه داروين حيث تقول: (لاحظوا هنا أن نجاح داروين وماركس ونتشه قد رتبناه من قبل) [٣]، وقد كان من أبرز آثار اليهود على هذه النظرية تزيينهم لها وإظهارها بشكل فيه تقدمية[٤] لذا سارعت وزارات التربية إلى احتضان نظرية داروين في أصل الأنواع[٥]، ثم سيطرت الفكرة على الثقافة العالمية مع ظهور فسادها وبطلان نتائجها.

* * * * * *

(١) شوقي عبد الناصر، البرتوكولات: (١٣).

(٢) شوقي الناصر، البرتوكولات: (٦٨).

(٣) شوقي عبد الناصر، البرتوكولات: (٦٨).

(٤) شوقي عبد الناصر. البرتوكولات: (١٣٦).

(٥) الرفاعي، حقيقة اليهود: (٤٩).

المبحث الثاني

أصل الإنسان في الإسلام

ويشتمل على ثلاث مطالــب: -

المطلب الأول: أصل الإنسان في القرآن والسنة.

المطلب الثاني: مظاهر تكريم الإنسان من خلال أصله في الإسلام.

المطلب الثالث: خلق آدم عليه السلام وصفاته، وهو شامل لجميع البشر.

* * * * * *

تمهيد:

إن المتأمل لتناول الإسلام لقضية أصل الإنسان يعجب من وضوحها وتفصيلها حيث لم يتركها الإسلام إلا بعد أن جلاها بوضوح، فالقرآن يأمر بالسير والنظر والتأمل في ما حول الإنسان من كائنات: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠ ﴾ (١)، وقبل ذلك يأمر بالنظر والتأمل في الإنسان نفسه كيف خلق وأبدع: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ (٢)، ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾(٣) هذه الدعوة المراد منها أن ينطلق الإنسان من خلالها إلى التعرف على الخالق العظيم المبدع لهذه الكائنات، وأولها الإنسان.

وعلى هذا فالإسلام لم يغفل هذا الأمر بل أولاه أهمية عظمى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ﴾ (٤)، ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ ﴾(٥) تنبيهًا على أنهم لو تدبروا أنفسهم وعرفوها؛ لعرفوا بمعرفتها حقائق الموجودات فانيها وباقيها (٦).

ولهذا السبب العظيم لم يترك الإسلام الناس يتخطبون في معرفة ذلك؛ بل أبان لهم الأسس الثابتة الصحيحة التي ينطلقون منها لمعرفة أصل خلقتهم.

وكذا الأمر في الأديان السماوية السابقة حيث كان واضحًا من خلال ما ذكرت الكتب المقدسة، ولذا كانت تعد مصدرًا يستمد منه الإنسان معرفته بحقيقة وجوده وكيف كانت، هذا مع ما دخل هذه الكتب من التحريف والتبديل؛ ولذا فليس هناك مجال للتضاد وعدم التساوق بين تعاليم الكتب المقدسة والاكتشافات العلمية الحديثة،

---

(١) سورة الغاشية، آية: (١٧-٢٠).

(٢) سورة الطارق، آية: (٥).

(٣) سورة الذاريات، آية: (٢١).

(٤) سورة العنكبوت: (٢٠).

(٥) سورة الروم: (٨).

(٦) الأصفهاني، تفصيل النشأتين: (٣٤).

وذلك فيما يختص بالتصور العام لخلق الإنسان وبعض وجهات النظر التي تناولت المراحل الأولى للبشرية[١]، هذا فضلا عن عدم تضادها مع القرآن الكريم؛ لذلك فإن الحديث في التوراة والإنجيل حول أصل الإنسان موافق لما جاء في القرآن الكريم من أصل خلق الإنسان من تراب، وأن آدم هو الإنسان الأول [٢]، لذا فالمسألة ظاهرة وجلية، وإلى مزيد بيان وإيضاح.

* * * * * *

(١) موريس بوكاي، ما أصل الإنسان: (٢٢).

(٢) حميد الحميد، أصل الإنسان: (٢١٩).

المطلب الأول: أصل الإنسان في القرآن

يقول الله –تبارك وتعالى-: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾[1] نعم لقد مر خلق الإنسان بأطوار؛ حيث تطور من مرحلة إلى المرحلة التي تليها، وترقى من حال إلى حال، ولا غرابة في ذلك لأن قانون التطور والترقي من أعجب السنن الكونية التي تُحدثها القدرة الإلهية، ولكن هل هذا التطور هو الذي عناه داروين في دراساته وأبحاثه؟!.

الحقيقة أن التطور والترقي عند داروين يعني التحول [2]، وهو ما ينكره الإسلام حيث أنهم قد عرفوا التطور في كل شيء لكنهم لم يعرفوا التحول، وهناك فرق بين الاثنين، فالذي ينكره مفكروا الإسلام في الواقع هو التحول، أما التدرج المتصاعد الموجود في أصل التكوين... فتلك حقيقة ثابتة منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا، أضف إلى ذلك أن الترقي في تاريخ الإنسان كان ترقيًا في بروز هذه الخصائص ونموها وتدريبها و لم يكن ترقيًا في وجود الإنسان من تطور الأنواع، وإن كان هناك تحول فهو نسبي حيث التحول من مرحلة إلى أخرى وليس من نوع إلى نوع آخر.

وعند الرجوع إلى الإسلام نجد أن مصطلح التطور من حيث معناه اللغوي يعد مصطلحًا جديدًا على المعاجم والقواميس العربية، حيث لم يرد في المعاجم القديمة إلا لفظ [طور] وورد في القرآن صيغة الجمع [أطوار]، يقول ابن كثير في بيان معناها: (قيل معناه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، قاله ابن عباس وعكرمة)، قال البخاري: (﴿ أَطْوَارًا ﴾ طورًا كذا، وطورًا كذا) [3] وعند الجلالين: (جمع طور وهو الحال، فطورًا نطفة وطورًا علقة إلى تمام خلق الإنسان)، وفي تيسير الكريم: (أي خلقًا من بعد خلق في بطن الأم ثم في الرضاع ثم في سن الطفولة ثم التميز ثم الشباب إلى آخر ما يصل إليه الخلق).

---

(١) سورة نوح: آية: (١٣-١٤).

(٢) انظر: موريس بوكاي، ما أصل الانسان: (٣٥-٤٠).

(٣) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق: باب ما جاء في قول الله تعالى (وهو الذي يبدأُ الخلق...): (٢/٨٧).

وعند تأمل جميع مراحل خلق الإنسان منذ أن أبدعه الخالق سبحانه إلى موته نلاحظ أنه يمر في أطوار مختلفة مشتملةً على أطوار يترقي فيها من حال إلى حال، وهذه الأطوار هي:

أولًا: التراب وأطواره.

ثانيًا: الماء وأطواره.

لقد بين الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم في مواضع كثيرة تفاصيل خلق الإنسان(١) في أطواره المختلفة سواءٌ في طور التراب أم طور الماء ثم التخلق في الرحم، ذلك كما يلي:

أولاً: التراب وأطواره:

جاء في كتاب الله تعالى الحديث وبكثرة عن خلق الإنسان من التراب، وقد مر هذا الخلق بمراحل وأطوار هي كما يلي:

الطور الأول: التراب يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ... ﴾(٢) أي أصل برئه لكم من تراب وهو الذي خلق منه آدم عليه السلام(٣)، وهذا التراب مأخوذ من الأرض قال تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾(٤)، ﴿ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ ﴾(٥)، وفي الحديث: ((إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض))(٦).

الطور الثاني: الطين وهو التراب والماء المختلط (٧)، يقول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي

---

(١) انظر: المعجم المفهرس، فؤاد عبد الباقي: (٣٠٦-٣١٠).

(٢) سورة الحج، آية: (٥).

(٣) تفسير القران العظيم: ابن كثير: (٣/٢٠٦).

(٤) سورة هود، آية: (٦١).

(٥) سورة طه، آية: (٥٥).

(٦) سنن أبي داود، كتاب السنة: باب في القدر: (٤/٢٢٢)، وانظر سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن: باب (٥/٣:٢٠٤)، وانظر: جامع الأصول، لابن الأثير: (٤٢٩-٤/٤٣١)، وانظر: السلسلة الصحيحة، للألباني: (٤/١٧٢).

(٧) معجم مفردات الفاظ القران، الراغب الاصفهاني: (٣٢٣).

خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا ﴾[١]، ويقـــول: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾[٢] يقـــول موريس بوكاي: (وإنني أتصور أن سلالة من طين إنما تشير إلى المكونات الكيميائية العديدة التي تكون الطين وتستخرج من الماء، والماء عنصره الرئيس بلغة الوزن)[٣] والماء يعـــد في القرآن مصدر كل حياة [٤] ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ [٥].

الطور الثالث: الطين اللازب، وهو: الطين الجيد الذي يلزق بعضه ببعض ويلـــزق باليد لاشتداده [٦]، قال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾[٧].

الطور الرابع: الحمأ المسنون، وهو: الطين الأسود المنتن المتغير [٨] اللون والريح من من طول المكث [٩]، جاء في كتاب الله تعالى قوله جل وعلا: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾[١٠] والصلصال: الطين اليابس الذي يصِلُّ أي: يصوت من يُبْسه إذا ضربه شيء ما دام لم تمسه النار [١١] وهذا الطور مشتملٌ على طورين:

الأول: هو الحمأ المسنون. والثاني: هو الصلصال.

---

(١) سورة الفرقان، آية: (٥٤).

(٢) سورة المؤمنون، آية: (١٢).

(٣) موريس بوكاي، ما أصل الإنسان: (١٩٤).

(٤) نفســـــه: (١٩٤).

(٥) سورة الأنبياء، آية: (٣٠).

(٦) انظر: تفسير القران، ابن كثير: (٤/٣)، و: المصباح المنير، للفيومي: (٢١١)، و: مختار الصـــحاح، للرازي: (٥٩٧).

(٧) سورة الصافات، آية: (١١).

(٨) انظر فتح القدير: محمد الشوكاني: (١٢٩-١٣٠/٣).

(٩) انظر: تيسير الكريم: ابن سعدي: (١٦٤/٤).

(١٠) سورة الحجر، آية: (٢٦).

(١١) أضواء البيان، الشنقيطي: (١٢٨/٣).

فقد كان الحمأ المسنون أولًا: طينًا أسودَ متغير الرائحة واللون، ثم صوره الله تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ﴾ (١)، وكان التصوير بيديه تبارك وتعالى: ﴿ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾(٢) وبعد التصوير تُرك في الجنة ما شاء الله أن يُترك، حتى يَبِسَ وجف وصار صلصالًا، وفي صحيح مسلم: عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه)(٣).

الطور الخامس: التسوية والنفخ: يقول تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴾(٤) سويتُه أي عدلت خلقته وأكملتها (٥) قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾ (٦)، بعد ذلك منّ الله على آدم بالنفخ في جسده من روح الله عز وجل، وقد كان هذا إكرامًا للإنسان وأيَّ إكرام، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴾(٧) وفي صحيح مسلم من حديث حِجاج آدم موسى عليهما السلام قال موسى: (أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه) (٨).

ولم يقتصر إكرام الله تبارك وتعالى لأبينا آدم عليه السلام على ذلك فقط بل كان أعظمَ، وأعمَّ، ومظاهره هي ما يأتي في المطلب التالي.

* * * * * *

---

(١) سورة الأعراف، آية: (١١).

(٢) سورة ص، آية: (٧٥).

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر: باب خلق الإنسان: (٤/٢٠١٦).

(٤) سورة الحجر، آية: (٢٩).

(٥) محاسن التأويل، القاسمي: (١٠/٥٥).

(٦) سورة الانفطار، آية: (٧).

(٧) سورة السجدة، آية: (٩).

(٨) صحيح مسلم، كتاب القدر: باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام: (٤/٢٠٤٣) رقم (٢٦٥٢).

المطلب الثاني: مظاهر التكريم في أصل الإنسان في الإسلام[1]

لقد كرم الله جل وعلا الإنسان فرفع من شأنه وجعله متميزا على من سواه من الكائنات بعدد من الميزات التي تعد من مظاهر التكريم التي امتن الله جل وعلا بها على بني آدم عليه السلام، ولعل مظاهر التكريم تتضح بشكل أكبر فيما يلي :

١- أن الله تبارك وتعالى جعل أصل الإنسان من الطين: ولا يخفى فضل هذا الأصل فإن الطين فيه السكينة والوقار والاستقرار والثبات [2]، فالتراب طبعه السكون والرزانة، وهو مادة الحيوان والنبات والأقوات، ولا يمكن لأحد العيش بدونه ودون ما خلق منه البتة، والأرض تؤدي للإنسان بما فيها من البركة أضعاف أضعاف ما يودعه فيها من الحب والنوى وتربيه وتغذيه وتنميه، كما أن طبعها الخشوع والإخبات، والله يحب الخاشعين المخبتين[3].

٢- أن الله تبارك وتعالى صور آدم بيديه عز وجل: وفي ذلك تكريم وأي تكريم يقول تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾[4] أي شرفته، وكرمته، واختصصته بهذه الخصيصة، التي اُختص بها عن سائر المخلوقات [5]، قال ابن القيم: (يوجب له تخصيصًا وتفضيلًا -بكونه بكونه مخلوقًا باليدين - على من أُمر أن يسجد له) [6]، وفي قوله: ﴿ خَلَقۡتُ ﴾

---

(١) قارن بين الفكرين في الأصل.

(٢) مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية: (١٥/٥).

(٣) انظر: الصواعق المرسلة، لابن القيم: (١٠٠٤-١٠٠٥/٣).

(٤) سورة ص، آية: (٧٥).

(٥) تيسير الكريم، ابن سعدي: (٤٣٨/٦).

(٦) التفسير القيم: (٤٢٢).

﴾ أضاف خلقه إلى نفسه تكريمًا له وتشريفًا [١]، وفي الصحيح: (خلق الله بيده) [٢]، قال عبد الله بن عمر: (إن الله لم يخلق بيده إلا ثلاثًا؛ خلق آدم بيده...) [٣]، وهذا ظاهر في الإكرام؛ لأن الذي أبدعه هو الخالق العظيم، ومن المعلوم أنه كلما ارتفع قدر المُكْرِم ارتفع قدر المكرَّم.

٣- أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام على صورته: ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: (خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعًا) [٤]، وقد اختلف أهل العلم في المراد بالضمير في قوله (صورته) على قولين:

الأول: الضمير يعود على آدم [٥] وعلى هذا القول ينتفي ما نريد إيضاحه.

الثاني: أن الضمير يعود على الله تبارك وتعالى، وإلى هذا ذهب جمع من العلماء[٦]، وعلى هذا المعنى نلاحظ إكرام الله تعالى لآدم حيث لم يرض له سبحانه إلا صورته لا صورة الملائكة ولا غيرهم، ولهذا جاء النهي عن ضرب الوجه وتقبيحه [٧]، ولا يخفى التكريم في هذا والاحترام الذي اكتسبه الإنسان بفضل الله تعالى حيث خلقه الرحمن على صورته وهذا من فضل الله ونعمته، هذا مع العلم أن عقيدة أهل السنة والجماعة: أن

---

(١) فتح القدير، الشوكاني: (٤/٤٤٥).

(٢) مسلم، كتاب الإيمان: باب أدنى أهل الجنة منزلةً فيها: (١/١٨٠) رقم (١٩٣).

(٣) التفسير القيم، لابن القيم: (٤٢٢).

(٤) البخاري، كتاب الاستئذان: باب بدء السلام: (١/١٢٣) رقم (٦٢٢٧)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها: (٤/٢١٨٣) رقم (٢٨٤١).

(٥) انظر: فتح الباري، لابن حجر: (١١/٣).

(٦) انظر: شرح كتاب التوحيد، للغنيمان: (٢٨-٩٨)، وانظر: فتاوى اللجنة الدائمة: جمع الدويش: (٣/٣٦٩).

(٧) انظر: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة: باب النهي عن ضرب الوجه: (٢٠١٦/٢٠١٧) رقم (٢٦١٢ وما بعده)، وانظر شرح كتاب التوحيد، الغنيمان: (٣٣-٣٦).

الصورة صفة لله تعالى كصفة اليد وغيرها ذكره الله لنفسه ولخلقه ولكن لا يلزم من ذلك التشابه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

٤- أن الله جل وعلا نفخ في ذلك الجسد الترابي من روحه تبارك وتعالى: ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ ﴾[١]، ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾[٢]، وهذه الروح تسد الضعف الذي في التراب، حيث إن من مقتضيات الروح حب الخير والإحسان وإمكان الارتفاع والسمو [٣]، وإضافة الله تبارك وتعالى الروح إلى إلهيته تقتضي محبته لها وتكريمه تشريفه [٤]، فنفخ الروح كان من الله عز وجل وليس من المَلَك، فالله أضاف النفخ إلى نفسه وهذا يقتضي المباشرة منه تعالى [٥]، وفي الحديث أن الناس يطلبون شفاعة آدم فيذكرون خصائصه التي خصه الله بها ومنها: (ونفخ فيك من روحه) [٦] فلو كانت الروح التي في آدم إنما هي من نفخ الملك لم يكن له خصيصة بذلك [٧]، فالنفخ كان من الله تبارك وتعالى، ونحن نجهل كنه هذه النفخة ولكننا نعرف آثارها؛ فآثارها هي التي ميزت هذا الكائن الإنساني عن سائر الخلائق في هذه الأرض، ميزته بخاصية القابلية للرقي العقلي والروحي [٨].

٥- إسجاد الملائكة لآدم مع شرفهم وعلو مترلتهم: فهم ﴿ لَّا يَعْصُونَ

---

(١) سورة السجدة، آية: (٩).

(٢) سورة الحجر، آية: (٢٩).

(٣) الروح، لابن القيم بتحقيق العموش: (٩).

(٤) الروح، لابن القيم: (١٤٨).

(٥) الروح، لابن القيم: (١٤٨).

(٦) صحيح مسلم، كتاب الإيمان: باب أدنى أهل الجنة مترلة فيها: (١/١٧٤) رقم (١٩٣).

(٧) انظر: الروح، لابن القيم: (١٤٨).

(٨) في ظلال القرآن، سيد قطب: (٥/٣٠٢٧).

بحث (أصل الإنسان بين الإسلام والفكر المادي)

ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[1]، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ﴾[2]، تحية له وتعظيمًا [3]، وفي الصحيح: (وأمر الملائكة فسجدوا لك) [4]، ولهذا كان من عقيدة أهل السنة والجماعة: أن صالحي البشر أفضل من الملائكة [5]، ففي الحديث يقول الله تعالى: (لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان) [6]، فإسجاد الملائكة لآدم عليه السلام فيه تكريم له ولذريته، يقول ابن كثير: (وهذه كرامة عظيمة من الله تعالى لآدم امتن بها على ذريته حيث أخبر أنه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم) [7]. هذه هي بعض مظاهر تكريم الله تبارك وتعالى لآدم عليه السلام والمستمرة مع أبناءه، وهي مظاهر تكريم الله له حال خلقه، وهي توضح نظرة الفكر المادي لأصل الإنسان؛ إذ قد جعلوا فيها كل مظاهر التحقير والحط من قدر الإنسان، استنادًا إلى مصادرهم المادية المحسوسة التي لا يمكن أن يصلوا من خلالها إلى أي نتيجة قطعية، وصدق الله عز وجل حيث يقول: ﴿۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[8]، و أمر الخلق هو أمر غيبي بالنسبة لنا فيجب أن نأخذه عمن خلق السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، لأنه سبحانه هو

---

(١) سورة التحريم، آية: (٦).

(٢) سورة البقرة، آية: (٣٤).

(٣) محاسن التأويل، القاسمي: (١٠/٥٥).

(٤) مسلم، كتاب الإيمان: باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها: (١/١٨٠).

(٥) انظر: الصواعق المرسلة، ابن القيم: (٣/١٠٠٢)، وانظر العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي: (٢٨١).

(٦) الحديث صححه الشيخ أحمد شاكر: العقيدة الطحاوية بتحقيقه: (٢٨٦).

(٧) التفسير: (١/٧٥).

(٨) سورة الكهف، آية: (٥١).

أعلم بخلقه [١]، ﴿ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ ﴾[٢]، كما أن مصادرهم لا يمكن الاعتماد عليها، ومنهجهم لا يمكن قبوله، وقد سبق الحديث عن ذلك [٣].

٦- تفضيل آدم بالعلم وبه تميَّز على الملائكة ثم قابليته للتعلم بعد ذلك: قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[٤]، فالقران يشير إلى ما يتميز به الإنسان من استعداد للتعلم الذي يعتبر إحدى خصائص الإنسان الكبرى [٥].

٧- خلق الله لآدم زوجة يأنس بها من ضِلَعه عليه السلام: قال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا ﴾[٦] قال ابن سعدي: (لما خلق الله آدم وفضّله، أتم نعمته عليه؛ بأن خلق منه زوجه ليسكن إليها ويستأنس بها) [٧]، وهذا من فضل الله على آدم حيث من المعلوم ما يكون بين الأزواج من المحبة والأُنس والمودة والسكن، فلا تجد بين اثنين في الغالب مثل ما بين الزوجين من المودة والرحمة[٨] ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا

---

(١) كيف بدأ الخلق، عيسى العرباوي: (٢٩).

(٢) سورة البقرة، آية: (١٤٠).

(٣) انظر: ص (٣).

(٤) سورة البقرة، آية. (٣١-٣٢-٣٣).

(٥) انظر: لمحات نفسية، الهاشمي: (٨٢).

(٦) سورة النساء، آية: (١).

(٧) تيسير الكريم: (١/٧٤).

(٨) تيسير الكريم، ابن سعدي: (٦/١١٩).

وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [١].

٨- إسكان الله تعالى آدم وزوجه حواء الجنة: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾[٢] يقول الله تعالى إخبارًا عما أكرم به آدم: أنه أمر الملائكة بالسجود فسجدوا إلا إبليس، وأنه أباح له الجنة يسكن منها حيث يشاء ويأكل منها ما يشاء رغدًا أي هنيئًا واسعًا طيبًا[٣]، طيبًا[٣]، وفي الصحيح: ((وأسكنك في جنته))[٤].

* * * * * *

(١) سورة الروم، آية: (٢١).

(٢) سورة البقرة، آية: (٣٥).

(٣) تفسير القران العظيم، ابن كثير: (١/٧٨).

(٤) صحيح مسلم، كتاب القدر: باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام: (٣/٢٠٤٣) رقم (٢٦٥٢).

المطلب الثالث: خلق آدم عليه السلام وصفاته

لقد خلق الله جل وعلا أول البشر وهو أبونا آدم عليه السلام وجعل له من الصفات التي اختارها الله جل وعلا في أصل خلقته عليه السلام، ولاشك أن ما كان في آدم عليه السلام في الخلقة هو مشترك بين بني البشر إلا ما كان مختصا به لسبب ما، لكن بالجملة فهي مشتركة بين بني البشر، ولعل أبرز تلك الصفات وما يتعلق الخلقة ما يلي :

١- أوجده من العدم وخلقه في أحسن تقويم: يقول الله ﷻ: ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴾[١] والمعنى: أن الله سبحانه خلقه ابتداء وأوجده من العدم المحض[٢]، وبعد إيجاد صوره سبحانه وسواه في أعدل صورة وأحسن تقويم: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ ﴾[٣]، ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ﴾[٤] فهو في أحسن تقويم استعدادًا وفطرةً وتكوينًا، بلغ الدقة والتعقيد عقليًّا وجسديًّا وروحيًّا [٥].

٢- خلق الله آدم طوله ستون ذراعًا: ففي الصحيح من حديث أبي هريرة ﷺ: (خلق الله آدم وطوله ستون ذراعًا) [٦]، فقد جعل الله تعالى طوله ستين ذراعًا، وهو خلق عظيم إذا ما قسناه بالذراع الذي نعرفه فكيف يكون الأمر وابن حجر يقول: (يحتمل أن يريد بقدر الذراع المتعارف يومئذ عند المخاطبين، والأول أظهر [المراد ذراع آدم] لأن ذراع كل أحد بقدر ربعه، فلو كان بالذراع المعهود لكانت يده

---

(١) سورة مريم، آية: (٩).

(٢) فتح القدير، الشوكاني: (٣/٣٢٢).

(٣) سورة الإنفطار، آية: (٧-٨).

(٤) سورة التين، آية: (٤).

(٥) التصور الإسلامي، ضميرية: (٩٣).

(٦) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء: باب خلق آدم وذريته: (١/١٢٣) رقم (٣٣٢٦).

قصيرة في جنب طول جسده) [١]. كما بيّن الحديث أنه خُلق من أول الأمر على هذه الصورة [٢] والمعنى أن الله تعالى أوجده على الهيئة التي خلقه عليه لم ينتقل في النشأة أحوالًا، ولا تردد في الأرحام أطوارًا كذريته، بل خلقه الله رجلا كاملا سويًّا، فهو لم يمر بمراحل التطور في الإسلام فضلًا عن مراحل تطور داروين، فالله قد خلقه بشرًا سويًّا مكتمل الخلق، ومنه تناسل بنو آدم ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ﴾ [٣].

ثم بدأ الخلق بالانحدار والنقص حتى وصل البشر إلى ما هم عليه الآن من أحجام، وفي الحديث: (فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن) [٤]، وهو ما توصلت إليه الدراسات في علم المستحاثات أخيرًا، فقد ثبت أن حجم الجمجمة أكبر من جمجمة الإنسان الحاضر [٥]، وتوصلت إلى أن دماغ الإنسان ما زال في تناقص من حيث الحجم [٦]، بخلاف نظرية داروين التي ترى التطور من الأدنى إلى الأعلى في الكائنات.

أما يوم القيامة فيدخل أهل الجنة الجنة على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا في السماء ففي الصحيح: (فكل من يدخل الجنة على صورة آدم) [٧]، (أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر،... على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا في

---

(١) فتح الباري، ابن حجر: (٦/٣٦٦-٣٦٧).

(٢) فتح الباري، ابن حجر: (٣/١١).

(٣) سورة السجدة، آية: (٧-٨).

(٤) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء: باب خلق آدم وذريته: (٦/٣٦٢) رقم (٣٣٢٦).

(٥) التوباد، ابوعبدالرحمن ابن عقيل الظاهري: (٤٠).

(٦) التوباد، ابوعبدالرحمن ابن عقيل الظاهري: (٤١).

(٧) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء: باب خلق آدم وذريته: (٦/٣٦٢) رقم (٣٣٢٦).

السماء) [١].

٣- خلق الله آدم أجوف لا يتمالك: فقد جاء في الصحيح: (لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يُطيف به ينظر ما هو، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقًا لا يتمالك)[٢]، و الأجوف صاحب الجوف وقيل هو الذي داخله خال، ومعنى لا يتمالك: لا يملك نفسه عند الغضب، والمراد جنس بني آدم[٣]، والله جل وعلا إنما خلق الإنسان في هذه الحياة لا ختباره وابتلائه: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ﴾ [٤]، وهذا الابتلاء يتميز به أهل الجنة عن عن أهل النار، ولرحمته سبحانه بعباده أرسل لهم الرسل وأنزل عليهم الكتب التي تبين لهم سبيل الجنة وسبيل السعير ﴿ إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[٥]، ﴾[٥]، ﴿ وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾[٦]، وبقي على الإنسان العمل في ما يرضي الله - تبارك وتعالى-.

الأصل الأول يشمل جميع البشر:

قد يتساءل أحدٌ فيقول: كيف حكم على جميع الناس أنه خلقهم من سلالة من طين والمخلوق منها هو آدم دون أولاده؟! والجواب هو:

أنه لما خلق آدم من سلالة من طين فأولاده الذين منه هم أيضًا منها [٧]، والتحقيق والتحقيق أن معنى خلقه الناس من تراب أنه خلق أباهم آدم منها؛ كما قال تعالى: ﴿

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء: باب خلق آدم وذريته: (٦/٣٦٢) رقم (٣٣٢٧).

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة: باب خلق الإنسان خلقًا لا يتمالك: (٤/٢٠١٦) رقم (٢٦١١).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي: (١٦/١٦٤).

(٤) سورة الإنسان، آية: (٢).

(٥) سورة الإنسان، آية: (٣).

(٦) سورة البلد، آية: (١٠).

(٧) تفصيل النشأتين، الأصفهاني: (٤٦-٤٧).

بحث (أصل الإنسان بين الإسلام والفكر المادي

إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ... ﴾[1] الآية، ولما خلق أباهم من تراب وكانوا تبعًا في الخلق صدق عليهم أنهم خلقوا من تراب [2].

وقد كشفت بعض البحوث التي أُجريت حول الإنسان أن جسم الإنسان يتركب من العناصر نفسها التي تتركب منها تربة الأرض، وهذه هي العناصر بحسب نسبة وجودها: الأكسجين ٦٣.٣%، الكربون ٢٠.٢%، الأيدروجين ٩.٩%، النيتروجين ٩.٥%، الكالسيوم ٢.٤٥%، الفسفور ١.٠١%، المغنيسيوم ٠.٧%، وآثار ضئيلة من كل من اليود والسليكون والمنجنيز[3]، ويقول تحليل مخبري آخر إنه لو أرجعنا الإنسان إلى عناصره الأولية لوجدناه أشبه بمنجم صغير، يشترك في تركيبه حوالي: (٢٢عنصرًا) تتوزع بشكل رئيسي على النحو التالي:

١- أكسجين، وهيدروجين على شكل ماء بنسبة ٦٥-٧٠% من وزن الجسم.

٢- كربون، وهيدروجين، وأكسجين، وتشكل أساس المركبات العضوية من سكريات ودسم وبروتينات وفيتامينات وهرمونات أو خمائر.

٣- مواد جافة يمكن تقسيمها إلى:

أ - سبع مواد هي: الكلور، والكبريت، والفسفور، والمغنيزيوم، والكلس، والبوتاسيوم، والصوديوم، وهي تشكل ٦٠-٨٠% من المواد الجافة.

ب - سبع مواد أخرى بنسبة أقل هي: الحديد، والنحاس، واليود، والمنغنيز، والكوبالت، والتوتياء، والمموليبديوم.

ج- سنة عناصر بشكل زهيد هي: الفلور، والألمنيوم، والبور، والسلينيوم،

---

(١) سورة آل عمرآن، آية: (٥٩).

(٢) أضواء البيان، الشنقيطي: (٤/٤٦٠).

(٣) كيف بدأ الخلق، عيسى العرباوي: (٨٢).

والكادميون، والكروم[١].

وهذه الاكتشافات تظهر العلاقة التي هذا الجسد الإنساني بهذه الأرض ليس فقط عن طريق الغذاء بل أيضًا الأصل الذي خلق منه هذا الجسد: ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴾[٢]، ﴿ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ ﴾[٣]، نعم لقد خلق الله تعالى آدم من تراب الأرض، مارًا بتلك الأطوار التي ذكرها الله تعالى في كتابه، ولو تأمل الإنسان طريق العودة؛ لعرف طريق الدخول، وأعني بذلك الموت الذي يراه الناس كل يوم، حيث أننا لم نعلم عن خلق الحياة شيئًا، ولكننا نشهد الموت كل يوم، والموت نقض الحياة، إذن هو يحدث على عكسها.

إن أول شيء يحدث في الإنسان عند الموت أن الروح تخرج وهي آخر ما دخل فيه.

فأول شيء خروج الروح؛ إذن آخر شيء دخل في الجسم هو الروح، ثم تبدأ مراحل عكس عملية الخلق، يتصلب الجسد، وهذا هو الصلصال، ثم يتعفن، وهذا هو الحمأ المسنون، ثم يتبخر الماء من الجسد، ويصبح الطين ترابًا، ويعود إلى الأرض.

إذن مراحل الإفناء التي أراها وأشهدها كل يوم هي عكس مراحل الخلق [٤]، ﴿ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ ﴾[٥].

ما سبق كان به خلقُ أبي البشر آدم عليه السلام، ثم انتقل الخلق إلى طريقة أُخرى بيّنها الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز بقوله: ﴿ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ

---

(١) مع الطب في القران، د/ عبد الحميد دياب، و د/ أحمد قرقوز: (٧٢-٧٣) نقلاً عن: أصل الإنسان، حميد الحميد: (٢٠-٢١).

(٢) سورة نوح، آية: (١٧).

(٣) سورة طه، آية: (٥٥).

(٤) معجزة القران، محمد الشعراوي: (١/١٢٠)، نقلاً عن أصل الإنسان، حميد الحميد: (٢٨-٢٩).

(٥) سورة طه، آية: (٥٥).

نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾[1]، وعنى بالإنسان هاهنا آدم، ولذلك قال: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ﴾ فاقتصر هاهنا على النطفة دون المبدأ الأول الذي هو التراب [2].

وخلقُ الإنسان من نطفة أيضًا يمر أطوار، حيث يترقى من مرحلة إلى أُخرى بقدرة الله تبارك وتعالى ورعايته، وقد فصل سبحانه وتعالى ذكرها في كتابه العزيز: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾[3]، هذا الخلق لم يتوصل إليه العلم المادي إلا حديثًا، حيث توصل إلى أن كل الذي ورد في القرآن عن خلق الإنسان في الرحم هو عين الحقيقة، حتى إن بعض علماء الأحياء الغربيين قد اعتنقوا الإسلام، حيث علموا أن ذلك العلم لا يمكن أن يكون مصدره أحدًا من البشر، لا سيما إذا كان قبل مئات السنين، يقول الدكتور موريس بوكاي: (نجد أن حقائق علم الأجنة الحديثة تتساوق تمامًا وبدرجة مدهشة مع النص القرآني) ويقول: (كيف تسنى للرجال الذين عاشوا في عهد محمد ﷺ أن يكون لديهم هذه التفاصيل الكثيرة والدقيقة في علم الأجنة؟ إن هذه الحقائق لم تكتشف إلا بعد مرور ألف عام تقريبًا على نزول القرآن، ويقودنا تاريخ العلوم إلى أن نجزم بعدم وجود أي تعليل أو تبرير بشري لوجود هذه الآيات في القرآن) [4].

الماء وأطواره:

جعل الله تبارك وتعالى تناسل الإنسان وتكاثره من خلال التزاوج: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾[5]، هذا بعد أن أبدع أبدع سبحانه وتعالى آدم على غير مثال سابق، بشرًا مكتمل الأعضاء والخلقة لا يحتاج إلى التطور ولا يمر به، ومنه عليه السلام بدأ تناسل البشر من ماء: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن

(١) سورة السجدة، آية: (٧-٨).

(٢) تفصيل النشأتين، الأصفهاني: (٤٧-٤٨).

(٣) سورة الزمر، آية: (٦).

(٤) ما أصل الإنسان، موريس بوكاي: (٢٠٧).

(٥) سورة النحل، آية: (٧٢).

سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ [١]، ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا ... ﴾ [٢]، ويمر خلق الإنسان من ماء بأطوار هي:

الطور الأول: النطفة وهي مختلطة من ماء الرجل وماء المرأة[٣].

الطور الثاني: العلقة: وهي من علِق الشيءَ إذا نشب فيه[٤]، وتشير إلى انغراس البيضة المخصبة في الغشاء المخاطي للرحم[٥]، ثم تكون قطعة من الدم الجامد[٦].

الطور الثالث: المضغة وهي القطعة من اللحم[٧] و المضغة من اللحم قدر ما يُلقي الإنسان في فيه [٨]، وهذا الطور مشتمل على طورين هما:

الأول: المضغة المخلقة.

الثاني: المضغة الغير مخلقة.

والمراد تفصيل حال المضغة وكونها أولًا قطعة لم يظهر فيها شيء من الأعضاء، ثم ظهرت بعد ذلك شيئًا فشيئًا [٩]، ومخلقة أي مستبينة الخلق ظاهرة التصوير [١٠].

الطور الرابع: تكوين العظام، وذلك من خلال تحويل تلك الخلايا اللينة ضئيلة

---

(١) سورة السجدة، آية: (٨).

(٢) سورة الأعراف، آية: (١٨٩).

(٣) أضواء البيان، الشنقيطي: (٥/٢١).

(٤) لسان العرب، ابن منظور: (١٠/٢٦١).

(٥) ما أصل الإنسان، موريس بوكاي: (٢٠٥).

(٦) محاسن التأويل، القاسمي: (١٢/٨).

(٧) لسان العرب، ابن منظور: (٨/٤٥١).

(٨) لسان العرب، ابن منظور: (٨/٤٥١).

(٩) محاسن التأويل، القاسمي: (١٢/٨).

(١٠) فتح القدير، الشوكاني: (٣/٤٣٦).

الحجم والوزن إلى أجسام ذات قوة وصلابة [١].

الطور الخامس: كسوُ العظام لحمًا: وهو أن تكسي باللحم العضلي [٢].

يقول الله تبارك وتعالى مبنيًا هذه الأطوار مفصلة: ﴿ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ﴾[٣] أي ظلمات البطن والرحم والمشيمة [٤]، ﴿ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٢٠ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ٢١ ﴾[٥]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ ﴾[٦]، ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ﴾[٧]، وفي صحيح مسلم: (يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم) [٨]، وفي البخاري: (إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك) [٩].

إن الإنسان إذا تأمل هذه التفاصيل ثم علم علم اليقين أن أطوار خلق الإنسان لا تتجاوزها قِيد أنملة لا يملك - إذا كان سليم العقل ومتجردا في طلب الحق - إلا أن يسلم

---

(١) كيف بدأ الخلق، عيسى العرباوي: (١٢٦).

(٢) ما أصل، الإنسان، موريس بوكاي: (٢٠٦).

(٣) سورو الزمر آية (٦).

(٤) انظر: محاسن التأويل، القاسمي (١٤/١٩٧).

(٥) سورة المرسلات، آية: (٢٠-٢١).

(٦) سورة الحج آية (٥).

(٧) سورة المؤمنون آية (١٢-١٤).

(٨) صحيح مسلم، كتاب القدر: باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه (٤/٢٠٣٦) رقم (٢٦٤٤).

(٩) صحيح البخاري، كتاب القدر: باب (١) (٤/٢٦٧) رقم (٦٥٩٤)، وانظر صحيح مسلم، كتاب القدر: باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه (٤/٢٠٣٦) رقم (٢٦٤٤) وما بعدها.

بأن هذا العلم ليس إلا من عند الله تبارك وتعالى، يقول أحد مفكري الغرب: (إنني مقتنع تمامًا بأنه لا يمكن لأحد أن يفهم حق الفهم معنى آيات معينة في القرآن الكريم تتحدث عن الإنسان إلا إذا كان على علم بالمعلومات الخاصة بهذا الموضوع والتي اكتشفت في العقود الأخيرة، فإذا قارن المرء بين ما ذكره القرآن الكريم وبين اكتشافات علم الوراثة فسوف يتضح له المعنى الحقيقي لهذه الآيات وضوحًا كاملًا، وغني عن القول أن الآيات كانت مفهومة للإنسان على مر العصور، ولكن المفسرين لم يتمكنوا إلا منذ عهد قريب من كشف معناها الظاهر) [١]، ويقول: (أما القرآن فيحتوي حقًّا على آيات بينات بالمنطق البشري؛ إذا وضعنا في اعتبارنا مستوى المعارف التي كانت سائدة في وقت نزول القرآن) [٢]، وقد لاحظ الدكتور موريس بوكاي بعد دراسة عميقة التساوقَ بين التعبيرات القرآنية ومعطيات العلم الحديث الراسخة بالنسبة للموضوعات التي لم يتيسر لأحد على عهد محمد حتى هو نفسه ﷺ معرفتها كما تعرف اليوم [٣]، ولذا نجده يقول عن القرآن: (فهو يقدم معلومات دقيقة حول نقاط معينة تعتبر اليوم مفاجأة كبيرة لأناس كثيرين في الغرب) [٤]؛ وبعد هذا كله يجد الإنسان المتجرد لطلب الحق نفسه منقادًا للإيمان بما جاء عن الله الخالق لهذا الإنسان الخبير به ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [٥]، سواءٌ في مسألة أصل الإنسان أم غيرها، والله أعلى وأعلم.

* * * * * *

(١) ما أصل الإنسان، موريس بوكاي (٢٢٤).

(٢) ما أصل الإنسان، موريس بوكاي (٢١).

(٣) ما أصل الإنسان، موريس بوكاي (١٧٩).

(٤) ما أصل الإنسان، موريس بوكاي (٢٣٠).

(٥) سورة الملك، آية: (١٤).

الـــخـــاتـــمـــة

بحمد الله ومنته تم هذا البحث الذي طوفنا فيه على جملة من الحقائق والآراء والأفكار التي تظهر قضية أصل الانسان لدى بعض مفكري الغرب الماديين، وما يقابلها في الفكـــر الإسلامي الذي يقتبس فيها علماؤه من الوحي المطهر المتمثل بالكتاب الكـــريم والســـنة الشريفة، ويمكن من خلال ما سبق أن نخلص إلى جملة من النتائج من أهمها ما يلي :

١/ كانت نظرية داروين فكرة غير مكتملة الوضوح حيـــث اعتراهـــا كـــثير مـــن التساؤلات والاشكالات العلمية التي اظهرت ضعفها منذ بدايتها .

٢/ اختلال نظرية داروين من الناحية العلمية دفع بعض علماء الغرب إلى دراســـتها ثم بيان حقيقتها والوقوف في وجه انتشارها ببيان ضعفها وتهافتها أمام الحقائق العلمية للناس عامة، حيث توصلوا إلى أن نظرية داروين في حقيقتها لم تتعد نطاق الظن والتخمين وتعوزها الأدلة الثابتة لتكون في عداد النظريات القائمة على القطع واليقين .

٣/ كان لليهود دور كبير في نشر فكرة داروين والتسويق لها عالميا على أنها نظريـــة علمية تقوم على الأسس العلمية وتنطلق منها .

٤/ هذه القضية جاءت جلية واضحة في كتاب الله وفي الســـنة المطهـــرة بتفاصـــيلها الدقيقة وليس فيها لبس ولا غموض بخلاف ما جاءت عليه نظرية داروين .

٥/ التقدير البالغ الذي جاء به الاسلام للإنسان ورفع قيمته وقدره، وهو ما يفتقد في ما جاء به الفكر المادي الذي نـــزل بقيمة الإنسان حتى جعله في المرتبـــة الـــدنيا مـــن الكائنات في الخلق .

كتاب (أصل الإنسان بين الإسلام والفكر المادي

الـــمصادر والمراجع

* محمد بن ابي بكر الزرعي ابن القيم، التفسير القيم، جمع محمد اويس النـــدوي، ط د، ١٤٠٨،دار الفكر ، بيروت .
* حميد بن خالد الحميد، أصل الإنسان بين الاسلام والنظريات الحديثة، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الإسلامية —١٤٠٥هـــ،جامعة الإمام محمد بـــن ســـعود الإســـلامية، الرياض
* أمير عبد العزيز، الإنسان في الإسلام، ط١، ١٤٠٤هـــ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
* موريس بوكاي ،ما أصل الإنسان إجابات العلم والكتاب المقـــدس، ط١٩٨٥،١٢م، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض .
* ابوعبدالرحمن ابن عقيل الظاهري، التوباد : مجلة فصلية تصدر عن : الجمعيـــة العربيـــة السعودية للثقافة والفنون، الرياض .
* محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ،أضواء البيـــان في إيضـــاح القـــرآن بالقرآن،ط١٤٠٨،١هـــ،مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .
* الراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصـــيل الســـعادتين، ط١، ١٤٠٨هـــــ،دار النفائس، بيروت .
* عثمان بن جمعة ضميرية ،التصور الإسلامي للكـــون والحيـــاة والإنســـان، ط د، ت د،مكتبة دار الأرقم ، الكويت .
* فؤاد بن سيد عبد الرحمن الرفاعي، حقيقة اليهود، ط١، ١٤١٢هـــ، الكويت .
* محمد بن ابي بكر الزرعي ابن القيم، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحيـــاء، ط٢، ١٤١٢هـــ، دار ابن تيمية ، الرياض .
* عبدالرحمن المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في ضوء القران ،ط١٤١٠،١هـــــ ، مكتبة وهبة ، القاهرة .
* محمد قطب، جاهلية القرن العشرين ، دار السروق، القاهرة .
* ابو الحسن علي الندوي، ماذا خسر العـــالم بانحطـــاط المســـلمين ، ط١٤٠٨،٧، دار المعارف ، القاهرة .
* محمد بن علي الشوكاني ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير،

ط٢،١٣٨٣هـ،مكتبة ومطبعة البابي، القاهرة .

* محمد بن ابي بكر الزرعي ابن القيم ، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ط٢، ١٤١٢هـ،دار العاصمة، الرياض .

* علي بن علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ط د، ١٤١٣هـ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية بالمملكة العربية السعودية .

* محمد فؤاد عبد الباقي المعجم المفهرسلألفاظ القرآن الكريم .

* محمد بن ابي بكر الرازي، مختار الصحاح، ط د ، ت د، دار الفكر، بيروت .

* عبدالرحمن بن ناصر ابن سعدي، تيسير الكريم الرحمن بتفسير كلام المنان، ط١،١٤٠٨هـ،مكتبة الهدى –الخبر ومكتبة الخلفاء-الرياض .

* عبدالله بن محمد الغنيمان، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، ط١،١٤٠٥هـ،مكتبة الدار ، المدينة المنورة .

* أحمد عبدالرزاق الدويش(جمع)، فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، ط١،١٤١١هـ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض .

* مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، ط د، ت د، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

* شهاب الدين أحمد **بن** علي **بن** محمد ابن حجر ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط د، ت د، دار المعرفة ، بيروت .

* محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، ط٢، ١٤١٢هـ،دار الفكر، بيروت .

* عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير ، تفسير القران العظيم، ط د، ت د، مكتبة دار التراث، القاهرة .

* وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى (مدخل علمي للإيمان)، ط١٩٧٦،٦م، المختار الإسلامي ، القاهرة .

* أبي داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داوود، ط د، ت د، دار إحياء السنة، القاهرة .

* مبارك بن محمد ابن الأثير، جامع الأصول من أحاديث الرسول عليه وآله الصلاة والسلام، ط٢، ١٤٠٠هـ،دار احياء التراث العربي، بيروت .

* محمد بن سورة الترمذي، الجامع الصحيح: سنن الترمذي، ط د، ت د، تحقيق احمد شاكر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
* محمد بن ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة،ط٤، ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي ، بيروت
* شوقي عبد الناصر، بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود، ط٢، مؤسسة الإيمان ، بيروت .
* محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ط د، ١٤١٤هـ،دار الفكر بيروت.
* محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ، شرح صحيح مسلم،ط د، ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي، بيروت .
* عباس محمود العقاد، الإنسان في القرآن الكريم، ط د ، ت د ، منشورات المكتبة العصرية، بيروت .
* سيد قطب، في ظلال القرآن ط٧، دار الشروق ، القاهرة.
* محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، ط١٠، ١٤٠٩، دار الشروق ،القاهرة.
* كريسي موريسون، العلم يدعو للإيمان .
* عيسى العرباوي كيف بدأ الخلق .
* جمال الدين بن محمد ابن منظور، لسان العرب، ط د، ١٤١٢هـ، دار صادر ، بيروت.
* أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط د، ١٤١٢هـ،دار عالم الكتب، الرياض .
* الراغب الاصفهاني معجم مفردات الفاظ القران .
* ويل ديورانت، قصة الفلسفة، ترجمة أحمد الشيباني، ط٢، ١٤١٤هـ، دار القارئ العربي.
* موقع ويكبيديا على شبكة المعلومات:

(http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF%D8%A7%D8%B1%D9%88%D9%8A%D9%86)

فـــهـــرس الـــمـــحـــتـــويـــات

المقدمة	٢
المبحث الأول : أصل الإنسان في الفكر المادي	٤
التمهيد	٥
المطلـــــب الأول: حقيقـــــة النظـــــرة الماديـــــة	٦
- نظرية داروين	
المطلب الثاني: نقض النظرية	٨
المطلب الثالث : العوامل التي ساعدت علـى بـروز النظريـة ورواجها	١٦
المبحث الثاني : أصل الإنسان في الاسلام	١٩
تمهيد	٢٠
المطلب الأول : أصل الإنسان في القرآن	٢٢
المطلب الثاني : مظاهر التكريم في أصل الإنسان في الإسلام	٢٦
المطلب الثالث خلق آدم عليه السلام وصفاته	٣٢
الخاتمة	٤١
المصادر والمراجع	٤٢
فهرس المحتويات	٤٥

بحث (أصل الإنسان بين الإسلام والفكر المادي